

دينا قدومي*

ديناميات النوع الاجتماعي في مدن مصر

الكتاب : العيش والموت رجلاً: ديناميات النوع الاجتماعي في مدن مصر
العنوان الأصلي : *Live and Die Like a Man: Gender Dynamics in Urban Egypt*
نسخة إلكترونية مأخوذة عن : <https://itunes/us/VUWYOI>
الكاتبة : فرحة غنّام
مكان النشر : بالو ألتو
الناشر : ٢٠١٣
عدد الصفحات : ٢٤٠

خلالها الذكورة ومظاهرها. ويركز كتابها على دراسة «العواطف والمشاعر والمسائل الجسدية» عند الرجل، ويتتبع «مسارات الذكورة» لتبيان العمليات التي يصبح المرء من خلالها رجلاً. وفيها يرتبط التجسيد عمومًا بمظاهر التزين والسلوك والسيطرة على أجساد النساء، يتناول الكتاب، عن وعي، مفهوم الذكورة من خلال التجسيد، وبالتالي يفك ارتباط الجسد بالأنوثة. ويمكن أخيراً القول إن المؤلفة تخلخل وعينا للفروق «الطبيعية» بين الجنسين وأي فكرة عن ثنائية الأنوثة/ الذكورة.

تجسيد الذكورة في أحد أحياء القاهرة

ثمة اتجاه عام لتصوير الرجال العرب كشخصيات خشنة ولامبالية، وبالتالي غير جديرة بالتعاطف، بيد أن كتاب فرحة غنّام العيش والموت رجلاً يشكّل افتراقاً مرحّباً به عن هذا التصور للرجال العرب؛ فعبّر طرح سؤال بسيط ظاهرياً: «ما العلاقة بين التجسيد والذكورة؟» (المقدمة)، تتحدى المؤلفة في بحثها وكتابتها الفرضيات ذاتها التي نفهم من

* المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

يعزز النظر إلى الذكورة كنتاج جماعي يتطلب شكلاً من المصادقة العامة.

يعرض الكتاب أيضاً بعض التناقضات والتحديات التي يواجهها الرجال عند تجسيد الذكورة؛ فهو يؤكد أن بعض الرجال يستطيع تحقيق كل ما هو متوقع منه، بيد أن هذا الواقع تدهور بسبب تزايد السياسات النيوليبرالية للدولة، والتي زادت صعوبة نهوض الرجال بمسؤولياتهم الاقتصادية. وهذا أمر مهم، خاصةً لأن «العيب الوحيد للرجل هو عجزه عن التقديم» (الفصل ٢). ويتعرض جسد الرجال لظروف عمل أكثر خشونة، الأمر الذي يؤثر في صحتهم وسلامة بنيتهم وعلاقتهم بأسرهم. وقد عرض أحد الأمثلة المؤثرة سعي زوجين متزوجين حديثاً لإنجاب طفل بينما كان يعمل الزوج في الخليج. وجرت مناقشة هذا التحدي علناً وباستفاضة على الرغم من خصوصيته. لكن مما يؤسف له أن الزوج توفي في الخارج، والسبب، كما يُفترض، هو ظروف العمل الشديدة القسوة وغير الآمنة.

وتشير المؤلفة في مناسبات عدة إلى صعوبة تقديم بحثها إلى الجمهور الناطق بالإنكليزية (واستطراداً الغرب)؛ فهي تكشف بصراحة عن اهتمامها بتجنب تعزيز الصور النمطية للرجل العربي حين تصر على تناول موضوعات حساسة كالعنف والموت. ويتساءل المرء: هل كانت هذه المخاوف ستظل موجودة لو أن غنام كتبت كتابها للجمهور العربي، أو هل كان هناك قضايا أخرى تتطلب توضيحاً أو اهتماماً إضافياً؟ وتلاحظ المؤلفة في هذا السياق أن أبحاثها أظهرت التوقعات المشتركة من الحكومات والرجال، وبالتحديد توفير الحماية والدعم وتأمين الحاجات. ويمكن عبر تطبيق هذه الفكرة على الأحداث الأخيرة في مصر التحرك نحو فهم آخر للدعم والمعارضة الشعبية لمحمد مرسي وعبد الفتاح السيسي، وتظاهرها بأنها «رجلان حقيقيان».

يشكل هذا العمل نتاج عقدين من الأبحاث في حي الزاوية الحمراء العمالي في القاهرة. وباعتبار المؤلفة عالمة أنثروبولوجيا، فإنها اعتمدت على ملاحظة المشاركين في الحي منهجية أساسية. ولأن أبحاثها أجريت وفق المعايير الاجتماعية السائدة، فإنها تجنبت زيارة الأماكن التي يهيمن عليها الذكور. وهي تفر صراحة بالمحدودية المحتملة لهذا النهج، لكنها تصر على أن الذكورة تتحقق في فضاءات مختلفة، وبحثها هو محاولة لدراسة بعضها.

ينبع غنى دراسة غنام من اهتمامها المتسق بالهويات الاجتماعية المتداخلة؛ فهي تؤكد خصوصاً استحالة فصل التحليلات الطبقيّة ودراسات النوع الاجتماعي في فهم صيرورات تكوّن الرجل؛ فعوامل السن والقدرة الجسدية والعرق (والمقصود في هذا السياق لون البشرة)، تساهم أيضاً في النمو وصولاً إلى «رجل حقيقي»، وفي التحولات والتوقعات المرتبطة بهذه العوامل. وتبرز أيضاً في جميع ثنايا الكتاب مركزية المعرفة المدنية في تأطير هويات كلا الجنسين وأدوارهما؛ فالرجال والنساء يعيشون البيئة المدنية بقدرات مختلفة جداً، وهو ما يؤثر بدوره في وصولهم إلى الشبكات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وهذه عملية تبادلية؛ فهي منتج لمعايير الجندر وهي في الوقت نفسه أداة لإعادة إنتاجها.

يتناول الكتاب خمسة موضوعات رئيسية، عرضتها المؤلفة من خلال سرد قصص فتیان ورجال عدة من حي الزاوية الحمراء. فهي تتناول وسائل غرس الرجولة في الشباب منذ مرحلة الطفولة، وتحديات الزواج، ودور النساء في تشكيل العقلية الذكورية، والعلاقة بين العنف والذكورة، وأخيراً كيف يدعم المرض والموت أفكار الذكورة. تربط مقدمة الكتاب وخاتمته الموضوعات وتقرنها بالممارسة وبخطاب الثورة المصرية. وعلى الرغم من أن عدداً كبيراً من أمثلة غنام عرض وقائع فردية خاصة، فإن التحليل